مجلة الرسالة
AL-RISALAH JOURNAL
ACADEMIC BIANNUAL REFEREED JOURNAL
KULLIYYAH OF ISLAMIC REVEALED KNOWLEDGE AND HUMAN SCIENCES
INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA

e-ISSN: 2600-8394 **VOL. 4. No. 2** **april (1441-2020)**

دراسة منهجية في اختلاف نظرة المفسرين للمصطلحات القرآنية

A systematic study of the different interpreters' perception of Qur'anic terms

آمنة محمد بوقرين[١] رضوان جمال الأطرش[٢]

Amna Mohamed bugrein Radwan Jamal Yousef Elatrash

الملخص:

بالرغم من كثرة الدراسات والبحوث في جانب دراسة الألفاظ القرآنية وتعريفاتها والفروق المعنوية ما بينها إلا أننا نجد أنه أشكل على كثير من طلبة العلم الخلط بين المفاهيم القرآنية واستبدالها بالمترادفات وتجاهلوا السياق الذي انبثق منه ذلك المصطلح، وكذلك فإننا نجد ندرة في دراسة هذه المصطلحات القرآنية من جانب تأثير اختلاف معانيها في تفسيرات المفسرين القدامي والمعاصرين. والمدقق اللغوي والتفسيري يجد أن من أدوات التفسير الاهتمام بالمصطلح القرآني، ونشأ عن هذا الاهتمام مجموعة كبيرة من التفاسير لكتاب الله تعالى، وفي هذا البحث سنحاول دراسة تفسير مجموعة من المفسرين لأربع كلمات قرآنية هي: التدبر، والتفكر، والتفسير، والتأويل. ولأن طبيعة البحث تعتمد الفروق المنهجية بين المفسرين اقتضت المنهج الاستقرائي والتحليلي. ومن أهم النتائج التي توصل إليها البحث هي أن اختلافهم في بيان معاني الكلمات القرآنية (محل الدراسة) ليس له الأثر البيّن في اختلاف تفاسيرهم واختلاف تفاسيرهم لكتاب الله نتيجة اختلاف طرقهم ومناهجهم التفسيرية أو توجهاتهم المذهبية إلى غير ذلك من الأسباب.

الكلمات المفتاحية: منهج، مفسرون، اختلاف، مصطلحات، قرآن.

Abstract:

Qur’an has and is still the focal point of Islamic thoughts and scholarly efforts. Because of that, the interpretation of Qur’an (Tafsir) is one of most important Islamic disciplines. Muslim scholars undertook unwavering effort in interpreting every single letter in Qur’an which has produced a vast library of Tafasir in all Qur’anic subfields. This study aims to research the interpretations of

[١] طالبة ماجستير، قسم دراسات القرآن والسنة، الجامعة الاسلامية العالمية بماليزيا amna.bugrein@gmail.com

[٢] أستاذ مشارك في قسم دراسات القرآن والسنة، كليه معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية كولالمبور ماليزيا. radwan@iium.edu.my

four words in the Qur'an namely, Tadabbur, Tafakkur, Tafsir and Ta'wil to find the differences in interpretation between different scholars and to what extent this has affected their interpretation methodology of the whole Qur'an. Employing a qualitative deductive methodology, this study found that the interpretation of the aforementioned words does not have a significant influence on the scholar's interpretation of the whole Qur'an. Rather, their interpretations are more influenced by their Mathahib, their chosen methodology and other factors**.**

Keywords: Method, interpreters, difference, terms, Quran.

مقدمة:

الحمد لله الذي نزّل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيرا، وبعد فإن القرآن الكريم قد أولاه المسلمون غاية الاهتمام منذ الرعيل الأول وحتى وقتنا هذا، ففيه من المعجزات ما يلفت إليه الأذهان والأفئدة والأبصار، ولقد اجتهد مجموعة كبيرة من علماء المسلمين في تبيين ما يحتويه كتاب الله ﷻ من الحكم والمعاني، ومن ضمن اهتمامات هؤلاء العلماء الألفاظ القرآنية وأسباب نزول القرآن بها دون غيرها، إضافة إلى اهتمامهم البالغ بتفسير تلك الكلمات وبيان التمايز فيما بينها، فكل مفسر يرى الألفاظ القرآنية بمنظور مختلف عن المفسر الأخر، قد تتشابه نظرتهم للألفاظ وقد تتباين، وفي هذه الدراسة سنتناول بالبحث نظرة كل من المفسرين محل الدراسة إلى التدبر، والتفكر، والتفسير، والتأويل، إضافة الى الفروقات بينهم في بيان هذه المصطلحات وأثر هذا على تفاسيرهم والله ولي التوفيق.

حدود البحث: دراسة وتحليل معاني الألفاظ القرآنية عند بعض المفسرين وهم: الطبري (ت ٣١٠ هـ)، القرطبي (٦٧١هـ)، أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) الشوكاني (ت ١٢٥٥ هـ)، الشعراوي (ت١٩١٤ هـ)، ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) والسبب في اختيار هؤلاء المفسرين دون غيرهم يرجع إلى اختلاف مدارسهم الثقافية، وبيئاتهم المختلفة، أضف إلى ذلك اختلاف الأزمنة. وانحصرت الدراسة على أربعة ألفاظ قرآنية هي: (التدبر، والتفكر، والتفسير، والتأويل) وقد تم اختيار هذه المصطلحات القرآنية دون غيرها بسبب شيوع استخدام هذه المصطلحات في موضع بعضها كاستعمال التفكر في مواضع التدبر أو التأويل في مواضع التفسير.

تعريف التدبر لغة واصطلاحا: مفهوم التدبر لغة: أصل كلمة تدبر من الفعل الثلاثي دبر والدبر يأتي بعدة معاني، نختار منها الآتي: "هُوَ آخِرُ الشَّيْءِ وَخَلْفُهُ خِلَافُ قُبُلِهِ"[٣]. كما يأتي ليدل على خلف الشيء أو عقبه [٤] أو نقيض القبل.[٥] أو ما تؤول اليه العاقبة أي النظر في حصيلة وثمرة الأمر.[٦] وفي حديث الرسول ﷺ "لا تدابروا"[٧] أي لا تلتفتوا بوجوهكم عن وجوه المسلمين ولا يدبر بينكم، وكل هذه المدلولات تصف معنى من معاني التدبر، فالتدبر حصيلة عدة معارف تشكل معرفة جديدة[٨]، أو هو النظر عدة مرات في الموضوع حتى يحصل التدبر والاتعاظ [٩] فهو يتعقب الفحوى[١٠] من الأمر حتى يرى في المرة الثانية في الموضوع مالم يراه في المرة الأولى، والثالثة مالم يراه في الثانية وهكذا[١١]. فالتدبر إذاً هو اعمال العقل واستنتاج المعاني واستخراج الحكم من الأشياء، وبالتدبر يُنظر إلى عواقب الأمور لا دليلها؛ أي نتفكر في نتائجها ونهايتها وما تؤول اليه، وهي من أفعال القلوب كما قال ﷻ: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ**﴾ [محمد: ٢٤] وقال الشوكاني (المتوفى: ١٢٥٠هـ): "في تفسير أفلا يتدبرون القرآن أَيْ: يسمعون القرآن ولا يتدبرونه ويتفكرون فيه يُقَالُ: تَدَبَّرْتُ الشَّيْءَ أي تبصرت وكررت التأمل فيه"[١٢].

---

[٣] إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، (الإسكندرية: دار الدعوة، د.ت)،ج ٤، ص ٥٤، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي ، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، ١٩٧٩) ،ج٢، ص ٣٢٤، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، **كتاب العين**، تحقيق. إبراهيم المخزومي، مهدي، السمرائي، (دار ومكتبة الهلال، د.ت) ،ج٨ ، ص٣١، الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب ، **القاموس المحيط**، تحقيق. مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، (بيروت – لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، د.ت)، ص ٣٩٨.

[٤] ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي ، **لسان العرب**، (بيروت: دار الصادر، ١٤١٤)، ج٤، ص٢٨٦، الفيروزآبادى، **القاموس المحيط**، ج١، ص٣٨٩.

[٥] ابن منظور، **لسان العرب**، ج٤، ص٢٨٦..

[٦] الفارابي، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**،ج٢، ص٦٥٥. زين الدين أبوعبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي ، **مختار الصحاح**، تحقيق .يوسف الشيخ محمد، (بيروت_صيدا: المكتبة العصرية _الدار النموذجية، ١٩٩٩)، ج١،ص ١٠١.

[٧] أخرجه أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي في **صحيحه**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ)، كتاب الآداب، باب الهجرة، ج٨، ص٢١، رقم الحديث: ٦٠٧٦.

[٨] مرتضى الزَّبيدي محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق. مجموعة من المحققين، (د.ت)،ج١٢، ص٥١١.

[٩] ابن منظور، **لسان العرب**،ج٤، ص٦١٩.

[١٠] المصدر نفسه.

[١١] مجمع اللغة العربية بالقاهرة، **المعجم الوسيط**، (القاهرة: دار الدعوة، ط٥، ٢٠١١م) ،ج١، ص٢٦٩.

[١٢] محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، **فتح القدير**، (دمشق_بيروت: دار ابن كثير،دار الكلام الطيب، ١٤١٤)،ج١،ص ٤٥٦.

مفهوم التدبر اصطلاحاً: يوجد مفاهيم جمّة للتدبر لدى العلماء والمفسرين تتوافق إلى حد كبير فيما بينها:

فسّر الطبري قوله تعالى: ﴿**كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ**﴾ [ص: ٢٩] ليتدبروا براهين القرآن التي وضعها الخالق ﷻ، ويتعلموا الشريعة من كتاب ربهم، وبالتالي يجبى الاعتبار والعمل بما ورد فيه.[١٣]

وابن القيم (ت٧٥١هـ) يرى أن التدبر "هُوَ تَحْدِيقُ نَاظِرِ الْقَلْبِ إِلَى مَعَانِيهِ، وَجَمْعُ الْفِكْرِ عَلَى تَدَبُّرِهِ وَتَعَقُّلِهِ، وَهُوَ الْمَقْصُودُ بِإِنْزَالِهِ، لَا مُجَرَّدُ تِلَاوَتِهِ بِلَا فَهْمٍ وَلَا تَدَبُّرٍ"[١٤].

أما الجرجاني– فيرى بأن التدبر: "عِبَارة عَن النَّظَرُ فِي عَوَاقِبِ الأُمُورِ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ التَّفَكُّر؛ إِلاَّ أَنَّ التَّفَكُّر تَصَرُّف الْقَلْب بِالنَّظَرِ فِي الدَّلِيل، والتَّدَبُر تَصَرفه بِالنَّظَر فِي الْعَوَاقِب"[١٥].

ويعرفه الإمام ابن كثير بأنه: "تَفَهُّمِ مَعَانِيهِ الْمُحْكَمَةِ وَأَلْفَاظِهِ الْبَلِيغَةِ"[١٦].

فالتدبر لا يقتصر على معرفة معنى الآية، وسبب نزولها، ولا بتراكيبها اللغوية، واعراب الكلمات؛ بل إنه كل هذا مجتمع، بالإضافة إلى أنه إعمال العقل وإعادة النظر وفهم المعنى الدقيق ومقصود الآيات ومن ثم حصول العبرة منها، واتعاظ الجَنَان بها فهو كما قلت سابقا في التعريف اللغوي أنه عمل من أعمال القلوب ليس العقول فقط فهو متعلق أكثر بالخشوع الكامل والاستحضار لكلام الله ﷻ.

تعريف التفكر لغة واصطلاحا:

لغة: أصلها (فَكَرَ) مرور الأمر على القلب، وتردده فيه، ومن ثم حصول الاعتبار، ج٤[١٧] وهو أيضا يأتي في معنى التأمل.[١٨]

---

[١٣] الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق. أحمد محمد شاكر، (مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م)،ج٢١، ص ١٩٠.

[١٤] ابن قيم الجوزية، محمد بن أيوب بن سعد شمس الدين، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، (بيروت_لبنان: دار الكتاب العربي، ط٣، ١٩٩٦م)،ج١، ص٤٤٩.

[١٥] علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، **كتاب التعريفات**، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٣م)، ص٥٦.

[١٦] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سلامة سامي بن محمد، الثانية، (الرياض_السعودية: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة، ط١، د.ت)، ج٢، ص٣٤٦.

[١٧] أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، **معجم مقاييس اللغة**،ج٢، ص ٤٤٦.

[١٨] الرازي، **مختار الصحاح**، ج١، ص٢٤٢.

اصطلاحاً: قال الجرجاني: "التفكر: تصرف القلب في معاني الأشياء؛ لدرك المطلوب. وهو سراج القلب يرى به خيره وشره، ومنافعه ومضاره، وكل قلب لا تفكر فيه فهو في ظلمات يتخبط"[١٩]

تعريف التفسير لغة واصطلاحا:

لغة: أصلها (فَسَرَ) من "البيان "أي كشف المستور ولإيضاح ج٥[٢٠] وكل شيء عرِفَ به الأمر ومعناه فهو تفسيره [٢١] وَ" (اسْتَفْسَرَهُ) كَذَا سَأَلَهُ أَنْ (يَفُسِّرَهُ)."[٢٢].

اصطلاحاً: فهو تبين معنى الآيات[٢٣] وعرَّفه الزركشي بأنه "هُوَ عِلْمُ نُزُولِ الْآيَةِ وَسُورَتِهَا وَأَقَاصِيصِهَا وَالْإِشَارَاتِ النَّازِلَةِ فِيهَا ثُمَّ تَرْتِيبِ مَكِّيِّهَا وَمَدَنِيِّهَا وَمُحْكَمِهَا وَمُتَشَابِهِهَا وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامتها وَمُطْلَقِهَا وَمُقَيَّدِهَا وَمُجْمَلِهَا وَمُفَسَّرِهَا وَزَادَ فِيهَا قَوْمٌ فَقَالُوا: عِلْمُ حَلَالِهَا وَحَرَامِهَا وَوَعْدِهَا وَوَعِيدِهَا وَأَمْرِهَا وَنَهْيِهَا وَعِبَرِهَا وَأَمْثَالِهَا وَهَذَا الَّذِي مُنِعَ فِيهِ الْقَوْلُ بِالرَّأْيِ"[٢٤].

تعريف التأويل لغة واصطلاحاً.

لغة: أصله أَوَّلَ وله عدّة معاني منها: مقتبل الأمر وآخرهُ. أو أول الأمر. أو الرجوع أو (الترجيع) الى الأصل قَالَ يَعْقُوبُ "أوَّل الحكم الى أهله أي أرجعه لهم".[٢٥] أو تفسير ما يرجع اليه الأمر[٢٦].

فالمعنى العام لكلمة الأول أي الرجوع الى البداية أو الرجوع الى أصل الشي.

أما اصطلاحاً: فهو إحالة المفردة أو الكلمة عن المعنى الجلي إلى معنى مرجح، شريطة أن يكون المعنى المرجح لا يخالف كتاب الله ﷻ ولا سنة نبيه ﷺ، "مثل قوله تعالى: ﴿**يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ**﴾ [الأنعام: ٩٥] إن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيرًا، وإن أراد به إخراج المؤمن من الكافر، أو العالم من الجاهل؛ كان تأويلًا"[٢٧].

---

[١٩] علي بن محمد بن علي الزين الشريف، **كتاب التعريفات**،ص ٦٣.

[٢٠] أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، **معجم مقاييس اللغة**، ج٢،ص٦٦.

[٢١] ابن منظور، **لسان العرب**،ج٥،ص٥٥.

[٢٢] الرازي، **مختار الصحاح**، ج١،ص ٢٣٩.

[٢٣] علي بن محمد بن علي الزين الشريف، **كتاب التعريفات**،ص ٦٣.

[٢٤] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج٢، ص١٤٨.

[٢٥] أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، **معجم مقاييس اللغة**، ج٢، ص١٣٦-١٦٥.

[٢٦] الرازي، **مختار الصحاح**، ج١، ص ٢٥.

[٢٧] الجرجاني، **كتاب التعريفات**، ص٥٠-٥١.

حصر ألفاظ الدراسة الأربع في القرآن الكريم مع بيان مختصر للآيات:

أولاً: التدبر: ذكرت كلمة التدبر في القرآن في أربع مواضع، ثلاثة منها في الزجر لمن يقرأ القرآن دون تدبر، والموضع الرابع لتبيين أن القرآن إنّما أُنزل لِيُتَدّبر فيه وهذه المواضع هي: قال تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفا كَثِيرا**﴾ [النساء: ٨٢]. إعراب مختصر للآية:" والهمزة هنا (أفلا) للاستفهام الإنكاري، داخلة على محذوف كما قدرنا، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف"[٢٨] وقد وردت قراءات مختلفة للآية: فقد "قرأ ابن محيص أو ابن مُحَيْصِنٍ: بإدغام التاء على الدال "أي أن نطقها يكون يدّبَّرُون[٢٩] فهذه القراءة على خلاف الجمهور: "يَتَدَبَّرُونَ بِيَاءٍ وَتَاءٍ بَعْدَهَا عَلَى الْأَصْلِ."أما عن المعنى الإجمالي للآية: فقد قال أبو حيان في تفسيره البحر المحيط: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ**﴾ [النساء: ٨٢] "أن نوع السؤال إنكاري فالله تعالى ينكر على المشركين عدم تأملهم في الوحي وإعراضهم عنه، لأنهم لو تدبروه لانكشف لهم شدة بينته وعلو شأنه، وهذا لا ينكشف إلا لمن تأمل معانيه [٣٠]. وفي هذه الآية بيان واضح بأن المتأمل والمتبصر في كتاب الله يهتدي إلى الحق وأن هذا الكتاب إنما هو من عند الخالق جل جلاله. أما الآية الثانية فهي قوله تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ**﴾ [المؤمنون: ٦٨]. إعراب مختصر للآية: فقد اختلف المفسرون في نوع الاستفهام في هذه الآية: فأبو حيان يرى أنه استفهام توبيخي أي "للتوبيخ"[٣١] أما الشعراوي فقد قال إنه للتقريع والتقريع في معناه أقرب للتوبيخ[٣٢]. وابن عاشور عدّه من نوع الاستفهام التعجبي فذكر في التحرير والتنوير "الِاسْتِفْهَامُ تَعْجِيبٌ مِنْ سُوءِ عِلْمِهِمْ بِالْقُرْآنِ وَمِنْ إِعْرَاضِهِمْ عَنْ سَمَاعِهِ" واعقب ابن عاشور كلامه بأن "الْفَاءُ لِتَفْرِيعِ الْكَلَامِ عَلَى الْكَلَامِ السَّابِقِ وَهُوَ قَوْلُهُ ﴿**بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰل مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ**﴾ [المؤمنون: ٦٣] مِنْ هَذَا إِلَى قَوْلِهِ ﴿**مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرا تَهْجُرُونَ**﴾ [المؤمنون: ٦٧][٣٣]

---

[٢٨] الهرري، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، (بيروت: دار طوق النجاة، د.ت)، ج٦، ص ٢٤٤.

[٢٩] جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت _لبنان: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢)، ج١، ص ٤٣٨.

[٣٠] أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل (بيروت – لبنان: دار الفكر، د.ت)،ج٣،ص ٧٢٥.

[٣١] أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ج٧، ص٥٧١.

[٣٢] محمد متولي الشعراوي، **تفسير الشعراوي–الخواطر**، (مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧)، ج١٧، ص١٠٠٨٦.

[٣٣] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٥، ص١٣٧.

ويرى الباحثان بأنه استفهام لغرض التوبيخ والتشنيع بأفعالهم لأن السياق يشعر المتلقي بأن الغرض منه هو لوم المشركين على ما هم فيه من تكبر وعناد، والله أعلم. ومعنى الآية الإجمالي: اختصره ابن عاشور في قوله: "أَنَّهُمْ لَوْ تَدَبَّرُوا قَوْلَ الْقُرْآنِ لَعَلِمُوا أَنَّهُ الْحَقُّ بِدَلَالَةِ إِعْجَازِهِ وَبِصِحَّةِ أَغْرَاضِهِ، فَمَا كَانَ اسْتِمْرَارُ عِنَادِهِمْ إِلَّا لِأَنَّهُمْ لَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ. وَهَذَا أَحَدُ الْعِلَلِ الَّتِي غَمَرَتْ بِهِمْ فِي الْكُفْرِ" [٣٤].

والآية الأخيرة التي تتكلم عن التدبر بصيغة الزجر في سورة محمد قال تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ [محمد: ٢٤] فالإعراب المختصر لقوله تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ**﴾ أن "الهمزة للإنكار [٣٥] والفاء للعطف على مقدر أي يعرضون عن القرآن فلا يتدبرونه" فهنا الآية تأتي بمعنى الزجر للقلوب المقفلة الغافلة عن كتاب الله عز وجل. وهذا يؤدي إلى معرفة المعنى الإجمالي للآية: قال ابن عباس: "أفلا يتفكرون فيرون تصديق بعضه لبعض، وما فيه من الواعظ والذكر والأمر والنهي، وأن أحداً من الخلق لا يقدر عليه" [٣٦]. أي أن قلوبهم الصادة عن القرآن هي من منعتهم من تدبره. أما في سورة ص: ﴿**كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ**﴾ [ص: ٢٩].

إعراب الآية الكريمة: ليدبروا أصلها ليتدبروا أدغمت التاء في الدال (القرطبي)[٣٧] على خلاف ابن حيان الذي يرى أن أصلها لتتدبروا بتاءين"وَالْأَصْلُ: لِتَتَدَبَّرُوا بِتَاءَيْنِ، فَحُذِفَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْخِلَافِ الَّذِي فِيهَا، أَهِيَ تَاءُ الْمُضَارَعَةِ أَمِ التَّاءُ الَّتِي تَلِيهَا[٣٨]؟" أَيْ لِيَتَدَبَّرُوا فَأُدْغِمَتِ التَّاءُ فِي الدَّالِ. وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى وُجُوبِ مَعْرِفَةِ مَعَانِي الْقُرْآنِ. وكلمة كتاب: خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ[٣٩]تقديره هذا كتاب. أنزلناه: صفة لكتاب[٤٠]. ومبارك: خَبَرٌ لكتاب[٤١].

---

[٣٤] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٥، ص١٣٨.

[٣٥] الشوكاني، **فتح القدير**،ج٥، ص٤٦.

[٣٦] أبو الطيب، **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**،ج٢، ص١٨٣.

[٣٧] أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني و ابراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٤٦)، ج١٥، ص١٩٢.

[٣٨] محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، (بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠)، ج٩، ص ٤٧٣.

[٣٩] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**،ج٢٣، ص٢٥١.

[٤٠] المصدر نفسه.

[٤١] المصدر نفسه

أما عن القراءات المختلفة للآية: فقرأها الجمهور: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ﴾ [ص: ٢٩] بِيَاءِ الْغَيْبَةِ وَشَدِّ الدَّال. وبهذه القراءة يأتي المعنى بأنه ليتدبروا حجج الله التي فيه، وما شرع فيه من شرائعه، فيتعظوا ويعملوا به. وفي قراءة أبي جعفر وعاصم الكسائي: "لتدبروا آياته" الطبري بِتَاءِ الْخِطَابِ وَتَخْفِيفِ الدَّالِ. ويرى الطبري أن" أولى القراءتين عندنا بالصواب في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب"[٤٢] ونخلص إلى المعنى الإجمالي للآية: وهو بأن القرآن الكريم إنما أنزل ليتدبر فيه ويفهم دقائق معانيه على قدر الطاقة البشرية.

آراء المفسرين في معنى التدبر: وبعد الاطلاع على كتب التفاسير وجد الباحثان أن المفسرين (الضحاك (ت٢٥٠)،الطبري(ت٣١٠)، الزجاج(ت٣١٠)،أبو الحسن النيسابوري(ت٣٤٥)، أبو الطيب القنوجي(ت٤٥٠)، البغوي(ت٥١٦)، الجوزي(ت ٦٥٤)، القرطبي(ت٦٧١)، ابن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني(ت٧١٤)،أبو حيان(ت٧٤٥)، الشوكاني(ت١٢٥٥)، الشعراوي (ت١٤١٩)، ابن عاشور(ت١٤٢٨)، الأمين الهرري(ت ١٤٢٩)، وغيرهم من علماء التفسير) اتفقوا على تعريف التدبر بأنه "النظر في عاقبة الأمور" فبعضهم يكتفي بذكر هذا التعريف وبعضهم يضيف بعض الإضافات التي تقرب المعنى أكثر إلى العقول. ويكتفي الباحثان هنا بذكر التعريفات التي ترى أن فيها معنى إضافي فقد عرف محمد الأمين الهرري التدبر بأنه "التأمل في أدبار الأمور وعواقبها، ثم استعمل في كل تأمل، سواء كان نظرًا في حقيقة الشيء وأجزائه، أو سوابقه وأسبابه، أو لواحقه وأعقابه، وتدبر الكلام هو النظر والتفكر في غاياته ومقاصده التي يرمي إليها، وعاقبة من يعمل به ومن يخالفه"[٤٣]. فقد ربط الهرري هنا التدبر بالتأمل في العواقب والتأمل في كل شيء وقد وافقه صاحب فتح البيان فمن تعريفه للتدبر أنه "تفكرت في عاقبته وتأملته ثم استعمل في كل تأمل"[٤٤] واتفق معهم كذلك ابن حيان في تعريفه للتدبر بأن التأمل جزء منه فقال: "هُوَ التَّفَكُّرُ فِي الْآيَاتِ، وَالتَّأَمُّلُ الَّذِي يُفْضِي بِصَاحِبِهِ إِلَى النَّظَرِ فِي عَوَاقِبِ الْأَشْيَاءِ"[٤٥]. ووافقه الشوكاني في تعريفه[٤٦].

---

[٤٢] محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق:أحمد محمد شاكر، (مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠)،ج٢١، ص١٩١.

[٤٣] الهرري، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، ج٦،ص٢٣٤ .

[٤٤] أبو الطيب، **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**،ج٣، ص ١٨٦.

[٤٥] أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**،ج٩،ص ١٥٣.

[٤٦] الشوكاني، **فتح القدير**،ج١،ص٥٦٧.

أما ابن عاشور فقد نظر الى تعريف التدبر بمنظار آخر فذكر أن "التَّدَبُّرُ: هو إِعْمَالُ النَّظَرِ الْعَقْلِيِّ فِي دَلَالَاتِ الدَّلَائِلِ عَلَى مَا نُصِبَتْ لَهُ. وَأَصْلُهُ أَنَّهُ مِنَ النَّظَرِ فِي دُبُرِ الْأَمْرِ، أَيْ فِيمَا لَا يَظْهَرُ مِنْهُ للمتأمل بادئ ذِي بَدْءٍ"[٤٧]. فقد استخدم ابن عاشور كلمة "النظر العقلي" أي أن ينظر ويتفكر بعقله في القرآن الكريم ودلالته البيّنة، فمن الدلالات الصريحة يصل المتدبر الى المغازي الخفية التي قد لا تظهر لأول وهلة. وقد أضاف ابن عاشور فقال: "وَذَلِكَ يَحْتَمِلُ مَعْنَيَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنْ يَتَأَمَّلُوا دَلَالَةَ تَفَاصِيلِ آيَاتِهِ عَلَى مَقَاصِدِهِ الَّتِي أَرْشَدَ إِلَيْهَا الْمُسْلِمِينَ، أَيْ تَدَبُّرُ تَفَاصِيلِهِ وَثَانِيهُمَا أَنْ يَتَأَمَّلُوا دَلَالَةَ جُمْلَةِ الْقُرْآنِ بِبَلَاغَتِهِ عَلَى أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَأَنَّ الَّذِي جَاءَ بِهِ صَادِقٌ"[٤٨].

ثانياً: مصطلح التفكر:

ذكرت كلمة التفكر بمصادرها المتعددة ثمانية عشرة مرة في كتاب الله عز وجل ومن الممكن حصر المواضع التي ذكرت فيها كالتالي: التفكر في بديع خلق الله تبارك وتعالى الذي أحسن كل شيء خلقه فمن أنواع التفكر في خلقه التفكر في السماوات التي تدهش العقل وتستدعي الفكر وفي الأرض الممدودة على مد البصر وما فيها من أشياء تدل على شيء واحد الا وهو عظمة خالقها وأنها بلا شك لم تخلق عبثا: قال تعالى: ﴿**وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [آل عمران: ١٩١] ﴿**وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الجاثية: ١٣] وسخر أيضا في الأرض الممدودة من جميع أنواع الثمار وجعل فيها ليلا ونهار ﴿**وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الرعد: ٣] ﴿**يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [النحل: ١١].

ومن أنواع التفكر وألوانه كذلك: التفكر في دقة خلق الله حتى في المخلوقات المتناهية الصغر التي قد لا تكترث لها عقولنا في كثير من الأحيان كالنحلة مثلا، قال تعالى: ﴿**ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [النحل: ٦٩] بل إن عقولنا تغفل عن أنفسنا وسمو خلقها فهي من الآيات العظيمة التي لا يجب السهو عنها ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الروم: ٢١] كما من

[٤٧] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٨، ص ٨٨.

[٤٨] ابن عاشور، **التحرير والتنوير** ،ج٥، ص١٨٣.

المستحب التفكر في الحياة، فالموت أيضاً من الأشياء التي تدعو الإنسان للتفكر في عاقبته ومآله وإلى حقيقة الدنيا، قال تعالى: ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الزمر: ٤٢].

ومن ألوان التفكر التي لفت القرآن الكريم لها أيضا التفكر والاعتبار بقصص الأولين قال تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ۞ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الأعراف:١٧٥- ١٧٦]. نقل الطبري عن ابن جعفر قوله في الآية "ولو شئنا لرفعنا هذا الذي آتيناه آياتنا بآياتنا التي آتيناه ﴿**وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ**﴾، يقول: سكن إلى الحياة الدنيا في الأرض، ومال إليها، وآثر لذتها وشهواتها على الآخرة واتبع هواه، ورفض طاعة الله وخالف أمره" [٤٩] فقصص الأولين تجعل الناس يتفكرون فيها ليعتبروا في حياتهم من حياة الذين من قبلهم لئلا يكرروا أخطائهم. فمن سنن أغلب بني آدم منذ القرون الأولى تكذيبهم لأنبيائهم من أول نبي الى خاتمهم محمد صلوات ربي وسلامه عليه فلم يكذبوه وحسب بل تعدى الأمر إلى وصفهم إياه بالجنون، قال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾ [الأعراف: ١٨٤] وعدا عن التفكر في قصص الأولين أشار القرآن الكريم على التفكر في القرآن الكريم الذي يحوي بين دفتيه كلام الله عز وجل، قال تعالى: ﴿**بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [النحل: ٤٤] فكلام الله عز وجل من عظم ما فيه لو أنزل على جبل لتصدع من خشية الله، قال تعالى: ﴿**لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الحشر: ٢١] التفكر يعني استخدام العقل للحصول على نتيجة يحتاج العقل للوصول إليها، وهو من الأمور التي يحثُّ عليها كتاب الله تعالى كما أسلفنا؛ لأنه من خلال التفكر يتحفّز العقل لفهم آيات الله تعالى سواء آياته المقروءة في القرآن الكريم أو آياته الكونية التي بواسطتها يستشعر عظمة خلق الله تعالى في السماوات والأرض وفي خلقه.

التفكر عند المفسرين: معنى التفكر كما يرى القرطبي أنه حيرة القلب في الأمر[٥٠] أما الشعراوي فقد فصل في معنى التفكر فهو يرى أن التفكر تستعرض ما أنت مقبل عليه لتستخلص منه أمرا آخر وبذلك تغني معلوماتك لأن العلم إذا

[٤٩] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج١٣، ص٢٦١.

[٥٠] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٥،ص ٣١٤.

أصبح راكداً يتوقف التقدم والنمو لأن النمو والتقدم ما هو إلا نتيجة التأمل والتفكر وتحريك العقل والفكر[٥١]، لأن العقل هو ما تميز به الإنسان عن غيره من المخلوقات فلا بد من اعمال العقل لذلك فإن الله ﷻ ينبهنا أن نتفكر في الظواهر الكونية ولا نمر عليها مرور الغافلين. وقد أشار الشوكاني في تفسيره أن القوم المتفكرين بأنهم الذين يستطيعون الاستدلال لأنه نتيجة من نتائج التفكر[٥٢]. وللتفكر تأثير عميق كما أوردها ابن حيان لأن التفكر في خلق الله وقدرته في مخلوقاته بهذا الإبداع والابتكار والإنشاء من العدم ليدل حتما على وجود خالق مبدع متصرف في هذا الكون،[٥٣] ومن نتائج الفكر بينها لنا القرطبي أن يتبين الناس الحق فينقادوا له ومن ثم يعملوا بما جاء فيه[٥٤]. أما ابن عاشور فينظر الى التفكر بأنه من أهم الحكم التي نزل من أجلها القرآن لأن تفكر الناس في القرآن يقربهم الى رضا بارئهم والتفكر نوعان عنده: "أَنْ يَتَفَكَّرُوا بِأَنْفُسِهِمْ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ وَفَهْمِ فَوَائِدِهِ، وَعَلَى الْوَجْهِ الثَّانِي أَنْ يَتَفَكَّرُوا فِي بَيَانِكَ ويعوه بأفهامهم"[٥٥] أي أن يتفكر بعقله بنفسه دون أي مؤثر خارجي أو يتفكروا بعد بيان الرسول ﷺ[٥٦]. إذاً فالفكر هو نتيجة تتعلق بأعمال العقل والتفكر في خلق الله الذي أحسن كل شيء خلقه وأنه من الأشياء التي أرشدنا الله عز وجل لعملها لأنه يزيد يقيننا وإيماننا به عز وجل وبأنه خلق فأبدع

ثالثاً: مصطلح التفسير:

وردت في كتاب الله ﷻ كلمة التفسير مرة واحدة فقط وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا**﴾ [الفرقان: ٣٣] فالخطاب في هذه الآية للرسول ﷺ ، أما المثل ومثل" أي بِمَثَلٍ بِسُؤَالٍ عَجِيبٍ مِنْ أسئلتهم الْبَاطِلَةِ كَأَنَّهُ مَثَلٌ فِي الْبُطْلَانِ إِلَّا أَتَيْنَاكَ نَحْنُ بِالْجَوَابِ الْحَقُّ الَّذِي لَا مَحِيدَ عَنْهُ وَبِمَا هُوَ أَحْسَنُ مَعْنًى وَمُؤَدًّى مِنْ سُؤَالِهِمْ"[٥٧]. وقوله تعالى: أحسن تفسير "جِئْنَاكَ بِأَحْسَنِ تَفْسِيرٍ، فَأَحْسُنُ تَفْسِيرًا مَعْطُوفٌ عَلَى الْحَقِّ، وَالِاسْتِثْنَاءُ بِقَوْلِهِ: إِلَّا جِئْناكَ مُفَرَّغٌ، وَالْجُمْلَةُ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ عَلَى الْحَالِ، أَيْ: لَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا فِي حَالِ إِيتَائِنَا إِيَّاكَ ذَلِكَ"[٥٨] فالمعنى

[٥١] الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، ج٦،ص ١١٣٦٢.

[٥٢] الشوكاني، **فتح القدير**، ج٤،ص ٢٥٣.

[٥٣] أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ج١٣، ص ٢٧٥.

[٥٤] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٥، ص٣١٤.

[٥٥] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٤، ص١٦٤.

[٥٦] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**،ج١٤، ص١٦٤.

[٥٧] أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ج٨، ص ١٠٤.

[٥٨] الشوكاني، **فتح القدير**، ج٤، ص٨٦.

الإجمالي لهذه الآية الكريمة أن الله عز وجل يخاطب نبيه ﷺ (ويمكن أن يشترك في الخطاب كافة المسلمين) بأن الكفار لا يأتوك بشيء من الأمثال أو قوّة الأقوال الا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً وايضاحاً وبيانا مما جاء به هؤلاء المشركين[٥٩].

المفسرون ومعنى التفسير عندهم:

اتفق ابن عاشور ومجاهد وابن حيان[٦٠] على أن المعنى العام للتفسير وهو إبانة وتوضيح معاني الكلمة، أما القرطبي فقد نقل في تفسيره عن الضحاك: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾: أيْ تَفْصِيلًا" [٦١] وهو رأي ابن عباس رضي الله عنه، في حين أن الطبري جمع بين البيان والكشف فقال: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾ وأحسن مما جاءوا به من المثل بياناً وتفصيلاً"[٦٢].

وقد عرّف ابن عاشور التفسير في مقدمة كتابه تعريفاً شافياً كافياً حسب ما يراه الباحثان فقد عرفه في اللغة أولا بأنه: "الْإِبَانَةُ وَالْكَشْفُ لِمَدْلُولِ كَلَامٍ أَوْ لَفْظٍ بِكَلَامٍ آخَرَ هُوَ أَوْضَحُ لِمَعْنَى الْمُفَسَّرِ عِنْدَ السَّامِعِ[٦٣]".

أما اصطلاحا: "هُوَ اسْمٌ لِلْعِلْمِ الْبَاحِثِ عَنْ بَيَانِ مَعَانِي أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهَا بِاخْتِصَارٍ أَوْ تَوَسُّعٍ وَالْمُنَاسَبَةُ بَيْنَ الْمَعْنَى الْأَصْلِيِّ وَالْمَعْنَى الْمَنْقُولِ إِلَيْهِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَطْوِيلٍ"[٦٤]. وقد نقل الإمام جلال الدين السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن عن الإمام الزَّرْكَشِيُّ في معنى التفسير بأنه العلم والمعرفة التي يدرك بها معاني كتاب الله عز وجل الذي انزل على الرسول، وتوضيح ما خفي من معانيه، وإظهار الأحكام الواردة فيه ، وذلك من خلال علوم اللغة العربية والفقه وأصوله كذلك بعلوم القرآن مثل الناسخ والمنسوخ[٦٥]. إذا فالتفسير هو اظهار المخفي من معاني كتاب الله عز وجل وشرحها بشكل يوصل المعنى الى القارئ.

رابعاً: مصطلح التأويل: وردت كلمة التأويل في كتاب الله ﷻ سبعةَ عشرة مرة وقصد منها–والله أعلم– عدة معاني وهي:

---

[٥٩] المصدر نفسه.

[٦٠] أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق. صدقي محمد جميل،(بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠)،ج٨، ص ١٠٤.

[٦١] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**،ج٣، ص ٣٠.

[٦٢] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ص٢٦٧.

[٦٣] **ابن عاشور، التحرير والتنوير**، ج١، ص١٠.

[٦٤] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**،ج١١، ص١٤.

[٦٥] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين ، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (الهيئة المصرية العامة للكتاب، م١٩٧٤)، ج٤، ص١٩٥.

بيان الأحوال المتشابهة: قال تعالى: ﴿**هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ**﴾ [آل عمران: ٧]. إِلَّا اللَّهُ، وَمَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ اسْتَأْثَرَ بِعِلْمِهِ تَأْوِيلَ الْمُتَشَابِهِ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَأُبَيٍّ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَائِشَةَ، وَالْحَسَنِ، وَعُرْوَةَ، وَعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَأَبِي نَهِيكٍ الْأَسَدِيِّ، وَمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، والكسائي، والفراء، والجلبائي، وَالْأَخْفَشِ، وَأَبِي عُبَيْدٍ. وَاخْتَارَهُ: الْخَطَّابِيُّ وَالْفَخْرُ الرَّازِيُّ[٦٦].

التأويل بمعنى المآل والمرجع: كما في قوله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا**﴾ [النساء: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿**وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلا**﴾ [الإسراء: ٣٥].

المآل بمعنى العاقبة: كما جاء في قول الحق سبحانه: ﴿**هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ**﴾ [الأعراف: ٥٣]. قال مجاهد:"تَأْوِيلَهُ جَزَاؤُهُ، أَيْ جَزَاءُ تَكْذِيبِهِمْ بِالْكِتَابِ. قَالَ قَتَادَةُ:" تَأْوِيلَهُ" عَاقِبَتُهُ. وَالْمَعْنَى مُتَقَارِبٌ. (يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ) أَيْ تَبْدُو عَوَاقِبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. و "يَوْمَ" مَنْصُوبٌ بِ"يَقُولُ"، أَيْ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلِ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ[٦٧]. وقال تعالى: ﴿**بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ**﴾ [يونس: ٣٩].

تأويل مَعَانِي كُتبِ اللَّهِ وَسِيَرِ الْأَنْبِيَاءِ: قال تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ**﴾ [يوسف: ٦] وقال تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ**﴾ [يوسف: ٢١] ﴿**رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِما وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ**﴾ [يوسف: ١٠١].

[٦٦] أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**،ج٣، ص٢٨.

[٦٧] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**،ج٤،ص ٢١٨.

ما تؤول اليه الأفعال: قال تعالى: ﴿**قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا**﴾ [الكهف: ٧٨] ﴿**وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنز لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَة مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا**﴾ [الكهف: ٨٢].

تفسير الأحلام: قال تعالى: ﴿**وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ**﴾ [يوسف: ٣٦] ﴿**قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَام تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡم لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ**﴾ [يوسف: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿**قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰم وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ**﴾ [يوسف: ٤٤] ﴿**وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ**﴾ [يوسف: ٤٥] ﴿**وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ**﴾ [يوسف: ١٠٠].

الآيات التي ذكرت فيها كلمة التأويل أتت بعدّة أشكال: منها ورد بمعنى بيان معنى المتشابه في القرآن الذي لا يعلم تأويله ومعناه إلا الله ﷻ، وتارة أتى بمعنى المآل والمرجع والعاقبة، أضف إلى ذلك تفسير كتاب الله وسير الأنبياء، وما ترجع إليه أفعال العباد، واستعمل لفظ التأويل كذلك في تفسير الأحلام، فالتأويل إذا لفظ واسع يشمل عدّة معاني من أهمها كشف المستور أو معرفة المختبئ وهذا المعنى هو أقرب معنى يمكنه وصف التأويل.

بيان معنى التأويل عند المفسرين

يرى عدد من المفسرين[٦٨] أن المعنى العام للتأويل هو ما يؤول ويرجع إليه الأمر أو الشأن[٦٩] وكان الاختلاف في تتمة معنى التأويل فابن عاشور يرى بأنه بيان الغموض والأمر المضمر [٧٠] أما الامام القرطبي[٧١] والشوكاني[٧٢] خصصوا معنى

[٦٨] تم الرجوع الى تفاسير ستة مفسرين وهم: الطبري (ت ٣١٠ ه)، القرطبي (٦٧١ه)، أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ه) الشوكاني (ت ١٢٥٥ ه)، الشعراوي (ت١٩١٤ ه)، ابن عاشور (ت ١٣٩٣ه).

[٦٩] أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ،ص ٢٦.

[٧٠] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٨، ص١٥٤.

[٧١] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين ، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٤٦)ج٤ ،ص ١٥.

[٧٢] الشوكاني، **فتح القدير**،ج١، ص ٣٢٦.

التأويل وصيروه مرادفا للتفسير أي أنهما بمعنىً واحد ولفظ هذا التعريف للقرطبي "وَالتَّأْوِيلُ يَكُونُ بِمَعْنَى التَّفْسِيرِ، كَقَوْلِكَ: تَأْوِيلُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ عَلَى كَذَا." [٧٣] وزاد في موضع آخر: أن التَّأْوِيل هو "جَمْعُ مَعَانِي أَلْفَاظٍ أَشْكَلَتْ بِلَفْظٍ لَا إِشْكَالَ فِيهِ، يُقَالُ: أَوَّلَ اللَّهُ عَلَيْكَ أَمْرَكَ أَيْ جَمَعَهُ."[٧٤] أي أن تبيّن اللفظ المشكل (أي الغير مفهوم) بلفظ آخر مرادف له يشرح معناه. في حين أن الشعراوي قد بيّن معنى التأويل بمعنى مشابه للمفسرين ولكنه قد زاد بلمسات جديده في بيان تعريفه فالتأويل" أن تُرْجع الأمر إلى حكمه الحقيقي، من «آل» يؤول إذا رجع ﴿**وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾ [النساء: ٥٩] تعني أحسن مَرْجعاً وأحمد مغبة وأجمل عاقبة؛ لأنك إن حرصت بما تريد على مصالح دنياك، فما ترجع إليه سيكون فيه شر لك."[٧٥]

الفرق بين المصطلحات الأربعة:

من خلال تعريف المصطلحات القرآنية الأربع ومعانيها عند المفسرين تجلى أن التفسير والتأويل لهما معنى قريب من بعضهما والتدبر والتفكر كذلك.

فالتأويل والتفسير هما بمعنى واحد عند بعض المفسرين المتقدمين[٧٦] ويشاركهم الرأي أبو عبيدة ما يخالفه تماما ابن حبيب النيسابوري الذي ينتقد من يصيرونهما بمعنى واحد، يقول: "وَقَدْ نَبَغَ فِي زَمَانِنَا مُفَسِّرُونَ لَوْ سُئِلُوا عَنِ الْفَرْقِ بَيْنَ التَّفْسِيرِ وَالتَّأْوِيلِ مَا اهْتَدَوْا إِلَيْهِ لَا يُحْسِنُونَ الْقُرْآنَ تِلَاوَةً وَلَا يَعْرِفُونَ مَعْنَى السُّورَةِ أَوِ الْآيَةِ....". [٧٧] أما الراغب فيرى أن التفسير أوسع من التأويل فالتفسير يشاع استخدامه في الكلمة ومفرداتها[٧٨]، أما التأويل فيشاع استخدامه في الجمل الكاملة ومعانيها ويستخدم أكثر في الكتب الإلهية، والتفسير يستخدم في هذه الكتب وغيرها[٧٩].أما الماتريدي[٨٠] فكان يتفق أن التفسير والتأويل ليسا بمعنى واحد ولكنّ رأيه في المعنى مختلف؛ فهو يرى أن التفسير هو الجزم بأن المقصود من

---

[٧٣] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين ، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٤)،ج٤، ص١٥.

[٧٤] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٥، ص٢٦٣.

[٧٥]الشعراوي، محمد متولي ، **تفسير الشعراوي – الخواطر**، (مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧)، ج٤، ص ٢٣٦١.

[٧٦] القرضاوي، **كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟**، ج١٩٨.

[٧٧] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**،ج١ ، ص١٥٠.

[٧٨] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج١، ص١٥٢.

[٧٩]المصدر نفسه.

[٨٠] محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي، **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)**، تحقيق:د.مجدي باسلوم (بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية، د.ت)ج١، ص٣٤٩.

الكلمة هذا المعنى المحدد وباللفظ المحدود، فإن وجد دليل فرأي صائب، وإلا فإنه يكون تحت مسمى التفسير بالرأي، (وهو يرى بأن التفسير بالرأي منهي عنه)[٨١]، أما عن معنى التأويل فيرى بأنه ترجيح واحد من الاحتمالات دون القطع والبت[٨٢]. ويرى صلاح الخالدي أن "التفسير يعتمد على الاطلاع والمعرفة، والقراءة والرواية، والتأويل علم وموهبة ربّانية يفتح الله به على أصحابه"[٨٣] إلى غير ذلك من الأقوال. أما الرأي الذي نرى أنه الأصوب هو رأي أبوطالب الثعالبي: وهو أن التفسير هو تبيين معنى اللفظ سواء كان معناه الحقيقي او المجازي، أما التأويل فهو بيان المعنى الخفي للّفظ وهذا ما يتفق مع قوله تعالى: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ**﴾ [آل عمران: ٧][٨٤]

أما عن الفرق بين التدبر والتفكر فيرى العسكري أن الفرق بين التدبر والتفكر: "أن التدبر تصرف القلب بالنظر في العواقب والتفكر تصرف القلب بالنظر في الدلائل" أي أن المتفكر ينظر الى الدليل في معنى الكلمة اما المتدبر فهو أشمل من ذلك اذ أنه ينظر الى عواقبها وتبعاتها وما توصل اليه. ويتشابه التدبر والتفكر في جانب اعمال العقل اما للوصل الى دليل في التفكر او النظر الى عاقبة الأمر في التدبر"[٨٥].

وبعد؛ فمن خلال عرض هذه المصطلحات الأربع، يتبين أن هذه المصطلحات القرآنية وان كانت معانيها تترادف بشكل جزئي الى أنها متفاوتة في المعاني.

تأثير اختلاف المعاني على طريقة التفسير

عند التأمل في أراء المفسرين لتبيين معنى التدبر، نجد أنهم أجمعوا على أن التدبر هو النظر في عاقبة الأمور، ومن ثم تفاوتت أقولهم فيما بعد هذا التعريف، فأبو حيان والشوكاني وابن عاشور يجدون أن التأمل جزء من التدبر، وهم بذلك يتغايرون مع بقية المفسرين محل الدراسة، الا أن هذا الاختلاف في المعاني لم نجد له تأثيراً على اختلاف تفاسيرهم ولم

[٨١] المصدر نفسه.

[٨٢] المصدر نفسه.

[٨٣] صلاح عبد الفتّاح الخالدي، **تعريف الدارسين بمناهج المفسرين**، (دمشق: الدار الشامية – بيروت، دار القلم–دمشق، ط٣، ٢٠٠٨)، ص٣١.

[٨٤] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤)، ص١٩٤.

[٨٥] العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، **معجم الفروق اللغوية**، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ب قم، د.ت)، ص٢١٢.

نجد أثراً في تفسيراتهم عن أن التدبر في تلك الآية مثلا يوصلنا من خلال تعريف المصطلحات القرآنية الأربع ومعانيها عند المفسرين تجلى أن التفسير والتأويل لهما معنى قريب من بعضهما والتدبر والتفكر كذلك.

توضيح الفرق بين التأويل والتفسير:

التأويل والتفسير هما بمعنى واحد عند المتقدمين من المفسرين[٨٦] وهذا الرأي أيضا لأبو عبيدة [٨٧]ما يخالفه تماما ابن حبيب النيسابوري الذي قال" وَقَدْ نَبَغَ فِي زَمَانِنَا مُفَسِّرُونَ لَوْ سُئِلُوا عَنِ الْفَرْقِ بَيْنَ التَّفْسِيرِ وَالتَّأْوِيلِ مَا اهْتَدَوْا إِلَيْهِ لَا يُحْسِنُونَ الْقُرْآنَ تِلَاوَةً وَلَا يَعْرِفُونَ مَعْنَى السُّورَةِ أَوِ الْآيَةِ....." أما الراغب فقد قال: "التَّفْسِيرُ أَعَمُّ مِنَ التَّأْوِيلِ؛ وَأَكْثَرُ اسْتِعْمَالِهِ فِي الْأَلْفَاظِ وَمُفْرَدَاتِهَا وَأَكْثَرُ اسْتِعْمَالِ التَّأْوِيلِ فِي الْمَعَانِي وَالْجُمَلِ، وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي الْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ، وَالتَّفْسِيرُ يُسْتَعْمَلُ فِيهَا وَفِي غَيْرِهَا"[٨٨]. وهناك من العلماء من قال إن التفسير هو إبانة كلمة لا تحتمل إلا معنى واحد في تفسيرها، أما التأويل فالكلمة تحتمل عدة أوجه في بيان معانيها بالأدلة. اما الماتريدي فكان يتفق أن التفسير والتأويل ليسا بمعنى واحد ولكنّ رأيه في المعنى مختلف فهو يرى أن التفسير هو الجزم بأن المقصود من الكلمة هذا المعنى المحدد وباللفظ المحدود، فإن وجد دليل فرأي صائب، وإلا فإنه يكون تحت مسمى التفسير بالرأي، (وهو يرى بأن التفسير بالرأي منهي عنه)، أما عن معنى التأويل فيرى بأنه ترجيح واحد من الاحتمالات دون القطع والبت. وهناك العديد من الآراء حول الفرق بينهما منهم من يرى أن التفسير يتعلق بالرواية والتأويل يتعلق بالدراية ومنهم من يرى أن التفسير معنى اللفظ سواء كان حقيقة أو مجازا، وأن التأويل هو تبين باطن اللفظ الى غير ذلك من الأقوال. أما الرأي الذي يرى الباحثان أنه الأصوب هو رأي أبو طالب الثعالبي: وهو أن التفسير هو تبيين معنى اللفظ سواء كان معناه الحقيقي او المجازي، أما التأويل فهو بيان المعنى الخفي للّفظ وهذا ما يتفق مع قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ﴾ [آل عمران: ٧][٨٩]

أما عن الفرق بين التدبر والتفكر فيرى العسكري أن الفرق بين التدبر والتفكر: "أن التدبر تصرف القلب بالنظر في العواقب والتفكر تصرف القلب بالنظر في الدلائل"[٩٠] أي أن المتفكر ينظر الى الدليل في معنى الكلمة اما

[٨٦] القرضاوي، **كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟**،ص١٩٨.

[٨٧] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج١،ص١٥٠.

[٨٨] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج١،ص١٥٢.

[٨٩] السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ص ١٩٤.

[٩٠] العسكري، **معجم الفروق اللغوية**،ص٢١٢.

المتدبر فهو أشمل من ذلك اذ أنه ينظر الى عواقبها وتبعاتها وما توصل اليه. ويتشابه التدبر والتفكر في جانب اعمال العقل اما للوصل الى دليل في التفكر او النظر الى عاقبة الأمر في التدبر[٩١]. وبعد؛ فمن خلال عرض هذه المصطلحات الأربع ،يتبين أن هذه المصطلحات القرآنية وان كانت معانيها تترادف بشكل جزئي الى أنها متفاوتة في المعاني، يقول عبد الله سرحان: "فمن يتأمل القرآن قراءة وسماعا وكتابة يكون متدبرًا، ومن يقف على متشابه القرآن يكون متأولاً، ومن يكشف عن المعاني المرادة من الألفاظ يكون مُفَسرا، ومن يتعرف على حقائق الأخبار، ويميز بينها يكون مستنبطا، ومن يأتي بكلام واضح يكون مبينًا، ومن يدرك الصواب في القضايا الشائكة يكون فاهما، وغني عن البيان أن التدبر أعم من هذه المصطلحات، وكلها داخلة تحت عباءته[٩٢]".

أما عن التفكر فهم يجمعون على أنه تردد الشيء في القلب بلفظ الطبري مع اختلاف الألفاظ فقط. فهنا لا يوجد تباين بينهم في التعريف فالألفاظ وحدها تختلف مع اتحاد المعاني. ومن جانب التأويل اتفقوا على أنه بمعنى ما يرجع اليه الأمر، وقد تغاير القرطبي والشوكاني عن باقي المفسرين بأن التأويل بمعنى واحد مع التفسير، وهذا التغاير لم يجد الباحثان أنه أثر في طريقة تفسيرهم واختلافه. اما عن التفسير فالمفسرون يتوافقون في بيان معناه. وقد رأى الباحثان أن سبب تمايز تفاسير المفسرين ليس بعلة هذه الألفاظ فتفاوت معاني هذه الألفاظ ليس لها أثر على طرق تفاسيرهم. وأن المصطلح الشائع لدى المفسرين هو التفسير فغالبية الكتب التي جاءت في تبيين معاني كتاب الله سميت في تفسيرا، فيما عدا تفسير الطبري فسمي جامع البيان في تأويل القرآن، أي استخدم هنا التأويل، وقد اصطلح على الكتاب الذي يبين كلام الله تعالى تفسيرا. والله أعلم بالصواب.

خطوات الألفاظ الأربع في القرآن

عند التطلع الى المصطلحات القرآنية محل الدراسة (التدبر، والتفكر، والتأويل، والتفسير) نستخلص الى أنها بمثابة خطوات للوصول الى العمل بكتاب الله، ونتخلق بأخلاق القرآن، لنصير كما كان الرسول صلوات ربي وسلامه، قرآنا يمشي على الأرض، فأول خطوة في فهم كتاب الله بعد قراءة الآيات، يكون بتأويلها وإعادتها إلى تركيبها الحقيقي، ومن منظور ثان أخذ تفسيرات وأقوال من أُنزل عليه الذكر ﷺ أولا، ومن ثم تفسيرات الصحابة والتابعين، واذا لم نجد ننتقل الى الخطوة الثانية والتي تتمثل في التفسير و البيان ومحاولة الكشف عن المعنى الحقيقي للآية وتفسيرها، لنتدرج الى الخطوة

[٩١] المصدر نفسه.

[٩٢] سرحان، **التدبر حقيقتة وعلاقته بمصطلحات التأويل والاستنباط والفهم والتفسير**، ص٢١٦.

التي بعدها وهي ترديد الآية على القلب واستشعارها وهو ما يعرف بالتفكر لنصل الى آخر خطوة في فهم الآية وهي تدبر الآية والرجوع الى مقصدها لنصل أخيرا الى العمل بالآية وهنا يتحقق مقصود الله تبارك وتعالى من انزال القرآن.

نتائج البحث: أظهر البحث النتائج الآتية:

١. أن المصطلحات القرآنية الأربع ليست مترادفة في معانيها، وانما متكاملة؛ أي يتمم بعضها بعض لتحقيق الفهم التام لكتاب الله.

٢. اتفق المفسرون (الطبري، القرطبي، أبو حيان الأندلسي الشوكاني، الشعراوي، ابن عاشور) في معنى التدبر أنه النظر الى عاقبة الأمور وأضاف الشوكاني وأبو حيان على ان التأمل جزء من أجزاء التدبر.

٣. أجمع المفسرون محل الدراسة أن التفكر هو تردد الشيء في القلب، مع اختلافات توضيحاتهم ولكن المعنى واحد.

٤. للتأويل عدة معاني وهي: مآل الأمر أي مرجعه، وبداية الأمر، إضافة الى تفسير ما يرجع اليه الأمر، ويأتي كذلك في تفسير الرؤى والأحلام. أما عن معنى التأويل المنسجم بين المفسرين محل الدراسة هو ما يرجع اليه الأمر، الا ان تتمة المعنى تغايروا في مفادها، فابن عاشور يرى أنه توضيح ما خَفي من المقاصد سواء كان كلام أو صنيع، أما القرطبي فيرى بأنه تبيين المعنى المعضل بلفظ واضح لا إعضال فيه، ويتفق مع الشوكاني في ان التأويل والتفسير بمعنى واحد.

٥. تشايع المفسرين محل الدراسة على أن مفهوم التفسير هو الكشف والبيان لكلمة بها إشكال إلى كلمة لا إشكال فيها.

٦. المفسرون (محل الدراسة) يتفقون على المعنى اللغوي للألفاظ الأربع (التدبر، التفكر، التفسير، التأويل) إلا أنهم يختلفون في بيان تتمة المعنى.

٧. لم يؤثر اختلافهم في بيان معنى مصطلح من المصطلحات محل الدراسة، على تفسيراتهم، ومن نظرة أخرى نجد أن استخدامهم شبه معدوم لمصطلحات التدبر والتفكر (فيما عدا مواضعها القرآنية) أما التأويل فاستخدمه الطبري، والتفسير هو المتداول عندهم.

٨. اختلاف طرق المفسرين لا ينبع من اختلاف تفسيراتهم لهذه الألفاظ، وإنما ينبع من اختلاف طرقهم ومناهجهم التفسيرية (التفسير بالمأثور أو بالرأي) أو اختلاف توجهاتهم المذهبية، أو استخدامهم لنوع مختلف من أنوع التفسير

(التفسير الموضوعي، الفقهي، اللغوي..... الخ)، إضافة الى اختلافات أخرى (كالاختلاف الثقافي، البيئي، الاجتماعي...الخ).

المصادر والمراجع

أبو الطيب، محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي. فتحُ البيان في مقاصد القرآن. تحرير عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري. مج. ٣. صَيدَا – بَيروت: المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، ١٩٩٢.

أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي. **البحر المحيط في التفسير**. في ٣، تحرير صدقي محمد جميل. بيروت – لبنان: دار الفكر، ١٤٢٠.

الرازي، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، معجم مقاييس اللغة. تحرير: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر، ١٩٧٩.

ابن عاشور ، محمد بن الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد».تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤

ابن قيم الجوزية، محمد بن أيوب بن سعد شمس الدين. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. بيروت_لبنان: دار الكتاب العربي، ١٩٩٦.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي. لسان العرب. بيروت: دار الصادر، ١٤١٤.

البصري، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي. **كتاب العين**. تحرير إبراهيم المخزومي, مهدي، السمرائي. دار ومكتبة الهلال، د.ت.

الخالدي، صلاح عبد الفتّاح. تعريف الدارسين بمناهج المفسرين. دمشق: الدار الشامية – بيروت، دار القلم–دمشق، ٢٠٠٨.

ابن كثير، ابن كثيرأبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري الدمشقي. تفسير القرآن العظيم. تحرير سلامة سامي بن محمد. الطبعة: الثانية. دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة، د.ت.

الرازي، زين الدين أبوعبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي. مختار الصحاح. تحرير يوسف الشيخ محمد. مج. ١. بيروت_صيدا: المكتبة العصرية _الدار النموذجية، ١٩٩٩.

الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر. البرهان في علوم القرآن. تحرير محمد أبو الفضل إبراهيم. لبنان: دار احياء الكتب العربية عيسى بابي الحلبي وشركائه، ١٩٥٧.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين. الإتقان في علوم القرآن. تحرير محمد أبو الفضل إبراهيم. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤.

الشوكاني، محمد بن علي بن محممد بن عبد الله. فتح القدير. دمشق_بيروت: دار ابن كثير،دار الكلام الطيب، ١٤١٤.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران. معجم الفروق اللغوية. تحرير الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي. مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ب قم، د.ت.

الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحرير أحمد عبد الغفور عطار. الرابعة. بيروت: دار العلم للملايين، د.ت.

الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. القاموس المحيط. تحرير مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. الثامنة. بيروت – لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.

القرضاوي، يوسف. كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟. القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين. الجامع لأحكام القرآن. تحرير أحمد البردوني و ابراهيم أطفيش. مج. ٢٠. القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٤٦.

البردوني و أطفيش، أحمدو إبراهيم، الجامع لأحكام القرآن ، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٤٦.

الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة). تحرير د.مجدي باسلوم. بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية، د.ت.

الهرري، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن. تحرير هاشم محمد علي بن حسين مهدي. بيروت – لبنان: طوق النجاة، د.ت.

جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، و الجوزي. زاد المسير في علم التفسير. تحرير عبد الرزاق المهدي. بيروت _لبنان: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢.

سرحان، عبد الله عبد الغني. التدبر حقيقتة وعلاقته بمصطلحات التأويل والاستنباط والفهم والتفسير. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ط٢، د.ت.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، كتاب التعريفات. تحرير ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر. بيروت _لبنان: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣.

مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبدالقادر، و محمد النجار. المعجم الوسيط. القاهرة: دار الدعوة، ط٥، ٢٠١١.

محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي، الهرري. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن. بيروت – لبنان: دار طوق النجاة، د.ت.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، جامع البيان في تأويل القرآن. تحرير أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠.

مرتضى الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس. تحرير مجموعة من المحققين، د.ت.

الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي–الخواطر، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧